**المقطع الرابع: ابن خلدون والتربية والتعليم:**

نتطرق في هذا الدرس الى فلسفة ابن خلدون في مجال التربية والتعليم باعتبارهما أساسيان في تكوين الفرد وبناء الدولة حيث تحدث عن آداب وشروط المعلم والمتعلم وعن المنهج التعليمي والتربوي وأهم الأهداف التربوية

**الهدف من الدرس:**

- فهم فلسفة ابن خلدون في مجال التربية والتعليم
- التعرّف على آداب وشروط المعلم والمتعلم
- الاطلاع على المنهج التربوي لإبن خلدون
- فهم الأهداف التربوية

**عناصر الدرس:**

**3-** ابن خلدون والتربية والتعليم

**6-1** آداب وشروط المعلم والمتعلم

**6-2** المنهج التعليمي والتربوي لابن خلدون

**6-3** المنهج التعليمي المفضل عند ابن خلدون

**6-4** الأهداف التربوية عند ابن خلدون

## 1-ابن خلدون والتربية والتعليم

لقد حرّر ابن خلدون ذهنه وفكره من القيود الفكرية لهذا نجده لم يتبع الطريقة أو المنهجية التقليدية السائدة للمفكرين والتربويين الذين سبقوه، فلم يأخذ بنظرياتهم الأخلاقية وخطابهم الوعظي، بل شدّد على التفكر والتأمل والتيقن والمباشرة قبل إطلاق الأحكام.

### 1-6 آداب وشروط المعلم والمتعلم :

لقد اهتم ابن خلدون بالتعلم الذي يفرض وجود معلّم ومتعلم وطرق وأهداف تربوية وتعليمية الغاية منها تحقيق البداية الطبيعية لظاهرة التعلم والتعليم في العمران البشري، ولقد وضع لابن خلدون آدابا وشروطا للمعلم والمتعلم:

1-1-6 **المعلم وصناعة التعليم للمتعلم** : يقول ابن خلدون **(أن فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد مشترك بين من شدا إلى ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العامي الذي لم يعرف علما، وبين العالم التحرير)**[1]، فاستدل بذلك على أن العلم واحد ولكن صناعته هي التي اختلفت، وبقدر ما يكون القائمون بهذه الصناعة قادرين على الإحاطة بطرقها ومبادئها وقوانينها ومهارتها والوقوف على مسائلها واستنباط فروعها من أصولها تكون هذه الصناعة مزدهرة ومحققة لأهدافها وينسحب هذا على القائمين بها كمّا وكيفا، لقد افترض ابن خلدون أن التعليم صناعة، نجاحها وفشلها مرتبطان بالقائمين بها، وأن المعلمين هم سند هذه الصناعة فالطالب صنعة أستاذه، لذا لا بد من أن تتوفر في المعلمين شروط وآداب وقوانين، وهكذا فإن توفر المعلم القادر والحاذق أولى في عملية التعليم لأنه يكون قادرا على توفير الشروط الأساسية للمتعلم وإلا لا يكون تعلم بالمعنى الذي يريده ابن خلدون.

ما هي هذه الشروط ؟ وما هو دورها في عملية التعلم ؟

---

[1] نفس المرجع، ص149

I- الشروط الأساسية لعملية التعلم بين المعلم والمتعلم :

- قيام الجدول والحوار بين المعلم والمتعلم: رأى ابن خلدون أن " **البعض ممن ارتحلوا لطلب العلم عادوا حاذقين للصنعة،** فقد رأى أيضا أن البعض ممن ارتحل عاد " وبعد ذهاب الكثير من أعمارهم في مجالسة المجالس العلمية، لا ينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة" لقد عاد هؤلاء دون طائل، لأنهم لم يحسنوا التصرف بالعلم والتعليم، وإن حصلوا شيئا فهو قاصر، ويعلل ابن خلدون ذلك لانعدام "سند" التعليم "أي المعلم" وعدم توفر الشروط والآداب بالقائمين عليه في مصر من الأمصار، ومن أجل تلافي تلك النقائص يوصي ابن خلدون بقيام " **الجدل والحوار**" بين المعلم والمتعلم فالحوار يساعد على تفتق الذهن واتساع المدارك، وفك عقال اللسان الذي يكون بواسطته نقل العلم. وهذا دور يجب أن يضطلع به المعلم، وأن يدركه قبل أن ينتصب لهذه المهمة، لأن " من أيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية.
- اختيار الأنسب للمتعلم من الفن الواحد : حلل ابن خلدون أسباب قصور العلم وعدم تملك ملكته، فوجد ذلك في كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها، وفي مطالبة المتعلم باستحضارها جميعا حفظا بالرغم من تكرارها ووحدة معناها إن في تلك الطرائق والإكثار من الاختلافات والتلقين فيه مضيعة للوقت ولعمر الطالب دون تحقيق الأهداف أو قطف الثمرات، لأن عمر الطالب جميعه قد " لا يفي بما كتب في صناعة واحدة".

وبهذا توجب على المعلمين أن يختاروا لطلابهم ما يفي بالغرض ويحقق الهدف ويكون ذلك بأن يقتصر المعلمون للمتعلمين على المسائل الأساسية فقط دون الدخول في الشروحات المتنافرة والمتفارقة.

- محاولة تقريب الأهداف للطالب وتوضيحها : وجد ابن خلدون ضررا في لجوء المعلمين إلى التلخيص والاختصار، ذلك أن حشو كثير من المعاني في قليل من الكلمات مما يعسر على الفهم، ومنه فساد في التعليم، وإقلال بالتحصيل وتخليط على المبتدئ وضياع الغايات من العلم، وهم لم يستعد لقبولها بعد، ثم إن في ذلك تشتيت لفكر الطالب وانشغاله بما لا يفيد الأهداف.

يقول ابن خلدون منتقدا طرائق التعليم التي شاعت عند المسلمين " **ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والإيجاز في العلوم، يولعون بها ويدفعون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها، باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن. فصار ذلك مخلا بالبلاغة وعيرا على الفهم، وربما عمدوا إلى الكتب والأمهات المطولة في الفنون لتيسير التفسير والبيان، فاختصروها تقريبا للحفظ**" [2] ثم يعطي ابن خلدون الأمثلة على ذلك في مجالات الفقه وأصول الفقه والمنطق. ويرى أن هذا "من سوء التعليم" لقد قصدوا إلى **(تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعبا بقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها)**[3].

- مراعاة مقدرة الطالب ومساعدته على الفهم : واجب المعلم أن يعطي بحسب قدرات المطالب من المعلومات، ومساعدته على استيعابها وبالتالي عدم تعريضه للنسيان "بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها " لأنه يكون عائقا في تحصيل الملكة. **ولا يجيز للمعلم أن يخلط على الطالب بين علمين في آن**

---

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، مرجع سابق، ص171.

[3] نفس المرجع، ص171.

**واحد (فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد إلى تفهم الأمر)**[4] وهكذا يكون ابن خلدون قد نظر إلى شروط العلم والمعلم، نعرج إلى طالب العلم.

**6-1-2 طالب العلم** : نجده يقدم نصائح ويوحي لطالب العلم بالتالي :

أ-تلقي العلم مباشرة من أصحابه : يرى ابن خلدون أن التعلم يكون تارة تعلما وإلقاء وطورا محاكاة وتلقينا بالمباشرة (والممارسة). ويرى في الطريقة الثانية "أكثر ترسيخا له وأشد استحكاما". لأن الاصطلاحات تترك عند المتعلم التباسا وتساؤلات أحيانا، من هنا كان البحث في العلوم وتعلمها والعمل بها يتطلب الرجوع إلى مصادرها وإلى أصحابها وهو المناسب لصناعتها، نلخص كل هذا في قوله **(الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم)**[5].

ب-عدم الغوص بعيدا أو الإمعان في التجريد والتعميم : رأى ابن خلدون أن العلماء يكثر خطأهم بسبب إمعانهم في الغوص على المعاني وتجريدها من محسوساتها وإطلاق أحكامها بشكل قوانين عامة، هنا نميز تمييز ابن خلدون بين نوعين من الأحكام، الشرعية والعقلية، يرى في الأولى أن التصديق بها هو المطلوب، وفي الثانية يرى أن معيار الصدق هو الواقع، فالعقل هو نتيجة وليس سببا أو أساسا، فعلى طالب العلم أن لا يفارق نظره المواد المحسوسة، للتأكد منها قبل أن يرسخ في ذهنه حكمه عليها.

وهكذا يكون ابن خلدون قد راعى المتعلم وظروفه ومقدرته، وطبيعة نموه مستبقا النظرية التربوية الحديثة التي أحدثت انقلابا بالتربية كما أحدثت نظرية كوبرنيكوس انقلابا في علم

---

[4] المقدمة، ص170.

[5] نفس المرجع، ص193.

الفلك والمتلخصة في جعل المعلم والبرامج التعليمية يدوران في فلك المتعلم وليس العكس كما كان سائدا.

**6-2 المنهج التعليمي والتربوي لابن خلدون :** المتعلم هو الغرض، وطبيعته هي محور العملية التربوية والتعليمية.

***المنهج التربوي** : يعزو ابن خلدون النتائج الحضرية المحصلة لمجتمع ما إلى صناعة التعليم: ازدهارا أو ركودا، إقبالا أو إحجاما، فشلا أو نجاحا، وإلى القائمين عليها، من حيث إدراكهم لمبادئها وقوانينها من ناحية، ومن حيث تطبيقهم لهذه القوانين والمبادئ عمليا من ناحية أخرى.

يضع ابن خلدون منهجية تعليمية وتربوية، يجد فيها صوابا في تعليم العلوم ونقلها موضحا طرق الإفادة منها، ومن أهم مبادئها التي يراها ضرورية هي التالية:

أ-**التدرج والتكرار التصاعدي** بما يناسب الطالب والموضوع معا: يشير على المعلم أن يتدرج مع الطالب بتلقينه مسائل من كل باب هي أصول ذلك الباب دون أن يدخل معه في التفاصيل بادئ ذي بدء ومراعيا قدرته وقابليته على فهم ما يلقى عليه وبعد ذلك وفي مرحلة ثانية يكون الدخول مناسبا في بعض التفاصيل لدراسة جزئيات الموضوع الأكثر ارتباطا به ثم تأتي المرحلة الثالثة حيث يبتعد المعلم عن العموميات ويخرج عن الإجمال ولا يترك عويصا ولا مغلقا إلاّ وضحه وفتح مقفله.

ب-**عدم إرهاق فكر الطالب والإحاطة بطبيعة هذا الفكر**: كان ابن خلدون يدرك تماما أن الفكر الإنساني ينمو ويتطور تدريجيا ويتأثر بما يكتسبه من معلومات ومهارات وما يعرض له من خبرات، هذه جميعها تتحكم كمّا وكيفا في سلامة هذا النمو واتجاهه سلبا وإيجابا. لذا لزم أن تراعى في المتعلم تلك الطبيعة التي تتهيأ وتزداد استعدادا للفهم والقبول بالتدريج وكلما اكتسبت فنا جديدا أو علما جديدا يزيدها

استعدادا لتقبل علوم وفنون أخرى، كما تتضح عنده أهدافها ومراميها أيضا بالتدرج. وإذا لم تراع هذه الطبيعة " **وألقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له، كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه**".

**جـ –عدم الانتقال من فن إلى آخر قبل فهمه :** بصرف النظر عن المرحلة التعليمية التي وصل إليها الطالب، يؤكد ابن خلدون على المعلم ضرورة عدم نقل الطالب إلى الجديد إلا بعد التأكد من فهم ما سبقه. فالعلاّمة ابن خلدون يدرك أن زيادة المقدرة عند الطلب والارتقاء باستعداداته يكونان الفهم الذي يكسبه مقدرة جديدة وملكة جديدة تساعده على الارتفاع والارتقاء والاستيعاب **(لأن الطالب إذا حصل ملكة علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي وحصل له النشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق، حتى يستولي على غايات العلم وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلل وانطمس فكره، ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم).**

**د–النسيان آفة العلم، تعالج بالتتابع والتكرار :** يريد ابن خلدون بمنهجه أن يولي ملكات لدى الطالب، وتربية الملكة عند الإنسان تتطلب الاحتفاظ بما اكتسبه الطالب ليكون قادرا على استحضاره عند الحاجة وهذا يحتاج إلى زمن، فالزمن عامل سلبي في الذاكرة، فيعالج هذه السلبية بعدم تفريق المجالس أو تقطيع ما بينها (التكرار) لأنه ذريعة إلى النسيان **(فيعسر حصول الملكة بتفريقها وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانية النسيان، كانت الملكة أيسر حصولا وأحكم ارتباطا وأقرب صيغة، لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره)**[6].

[6] المقدمة، ص180.

وهكذا يكون ابن خلدون قد نظر لذهن الطالب لا على أنه وعاء على المعلم ملؤه بالمعلومات وإنما هو ملكة تنمو وتزداد استعدادا وقابلية للتدرج عن طريق الفهم واكتساب طرق التفكير وإعمال الذهن، بل أن تلك الملكة الذهنية ذات طبيعة لها قابلية النمو والاتساع وتكون تربيتها بما يتناسب مع قوانين هذا النمو، وقد كان ابن خلدون سباقا بشوط كبير لما ذهب إليه لاحقا **مونتني** (Montaigne) القائل بأن رأسا حسن التكوين خير من رأس مملوء « une tête bien faite mieux qu'une tête bien pleine » وفي ثقافتنا العامية " اعطيني فاهم ولا تعطيني قاري (متعلم)".

**هـ –عدم الشدة على المتعلمين :** لم يخف على ابن خلدون ما للشدة والقسوة على الطالب وخاصة على المبتدئ من نتائج سلبية، وقد رأى أن العسف أو "القهر" يسبب إذلالا للنفس ويؤدي إلى اللجوء للأخلاق والعادات الذميمة **(ومن كان مرباه بالعسف أو القهر من المتعلمين أو الممالك أو الخدم حمله القهر على الكذب والخبث، وذلك يضيق على النفس انبساطها، ويذهب بنشاطها، ففي القهر مدعاة إلى الكسل، وفيه حمل على الكذب والخبث والتظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه)**[7]، وذلك التعسف يعلّم "المكر والخديعة" ويصبح ذلك بالتالي للمتعلم "عادة وخلقا".

هنا نلاحظ أيضا عمق الأصالة التربوية في فكر ابن خلدون في طرحه موضوع الشدة والقسوة، وما يولدان من الأخلاق والعادات الذميمة. لا شك أنه سبق عصره في طرحه لمبادئ تربوية كهذه لا تطال تربية فكر الإنسان فحسب بل أخلاقه أيضا.

[7] المقدمة، ص191.

*<u>**المنهج التعليمي**</u> : يعرض لنا ابن خلدون مرحلتين من التعليم كنموذجين سائدين في عصره:

**أ-المرحلة الأولى قبل سن الرشد تعليم القرآن :** من نافلة القول أن القرآن بالنسبة للمسلمين هو مصدر التشريع، ومحور العلوم، وهنا يشير ابن خلدون بأن جميع الأمصار جعلت من تعليم القرآن الركيزة أو الأساس الذي ينشأ عليه أبناء المسلمين ل"ترسيخ الإيمان والعقائد" في فكر الأطفال ونفوسهم درءا لهم عن العادات والأخلاق المشوشة للفكر والأخلاق، ويستخلص ابن خلدون نموذجين من المناهج آنذاك هما :

**النموذج الأول :** اقتصر تعليم المسلمين في (المغرب) على القرآن، دون أن يلحقوا به أي فن آخر من العلوم، وشمل هذا المنهج الكبار والصغار معا.

**النموذج الثاني :** وهو المسلمين في الأندلس (المشرق) وإفريقية وكان منهجهم يختلف إذا ألحقوا بتعليم القرآن بعض الفنون الأخرى كالشعر والترسل وقواعد العربية، الخط، الكتابة مع الحفاظ على أن يبقى القرآن محور التعليم وهدفا له.

**ب-المرحلة الثانية بعد سن الرشد:** يذكر لنا ابن خلدون "التعليم الثانوي" دون أن يكلف نفسه ذكر تفاصيل طرق ومناهج هذه المرحلة[8]، وفي جميع الأحوال فإن هذه المرحلة لا تهمنا هنا لأنها مهيأة لتحضير العلماء والفقهاء.

لقد نقد ابن خلدون كما أسلفنا الفكر التربوي السائد حيث يرى أن النموذج الأول (المغرب) يؤدي بالمتعلم " إما أن يحفظ القرآن أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة" وبالنسبة للنموذج الثاني (المشرق) كان يفضله على الأول ويميل إليه فتعلم الولد بإضافة بعض العلوم الأخرى إلى القرآن، يكون قد خرج من عمر البلوغ إلى الشبيه وقد

[8] هي مرحلة تحضير العلماء والفقهاء، والاختصاصيين (علم الكلام، اللغة، التفسير، الحديث...)

" شدا " بعض الشيء في العربية، الشعر والبصر بهما... وتعلق بأشبال العلم على الجملة فيمكنه هذا من متابعة التعلم والتحصيل في حال توفر سند العلم (المعلم).

## 6-3 المنهج التعليمي المفضل عند ابن خلدون

ليس ابن خلدون أول من انتقد هذه الطريقة فقد سبقه القاضي أبي بكر ابن العربي ووافق ابن خلدون رأيه. فهو يرى أن عملية التدريس تقتضي وجوب تدريس بادئ ذي بدء باللغة الأصلية لأن الدرس بلغة أجنبية نصف درس ليس إلاّ ويرى أيضا أنه يجب على الأستاذ التفريق بين العلوم الإضافية والعلوم التي تدرس لذاتها ولذا يجب أن لا يرغم تلامذته على الشجر في الأولى لأنهم قد لا يصلون إلى غايتهم من الوصول بيد أنه وجب الإلمام ببعض العلوم إلى حدها وكأنه يدعو إلى تعدد التخصصات فالأولى تعليم الطلاب المبادئ العامة الضرورية للعلوم الإضافية فمن أراد التخصص والاختصاص في إحدى المواد فهو وشأنه فواجب المعلم إعداده لهذه المرحلة بالذات. ولتنفيذ هذه المهمة بنجاح "أن تدرس طبيعة الفكر البشري وتطوره من الحداثة إلى الفتوة فبذلك نستطيع التماشي معه، والوجوب البدء بتعليم الأطفال أعم القواعد وأسهلها حتى يصلوا بذلك إلى معارف أصعب وأكثر تعقيدا.

لقد كان لابن خلدون رأي في العملية التربوية والتعليمية أيضا في الوظيفة التي عليها أن تؤديها للأفراد وللجماعات إنها رؤية جديدة، بل فلسفة تربوية قائمة بذاتها، تختلف عن ما هي عليه عند أبناء عصره ومجتمعه، وهكذا كما كان سباقا في مجالي التاريخ والاجتماع فهو أيضا كان في مجال التربية والتعليم.

## 6-4 الأهداف التربوية عند ابن خلدون :

انطلاقا من نظرة ابن خلدون للعلم وللمنهجية التعليمية والتربوية التي تبناها ومن خلال انتقاداته لما هو شائع في عصره من طرق وأساليب ومناهج تربوية وتعليمية، نحاول أن نتناول الأهداف التربوية التي يمكن أن تحقق للنشء الصاعد الأغراض التربوية والتعليمية التي تتناسب مع فلسفته ورؤيته للعمران والحضارة والمجتمع وللأفراد.

1-**تربية الملكات** : يقول **(إن الملكات صفات للنفس ألوان، فلا تزدحم دفعة ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها)**[9] وهذه الملكة سواء "فكرية" أو "حركية" هي النواة التي ينتج عنها صناعة، والملكة كما تصورها ابن خلدون هي المهارة التي يكتسبها المرء (في أمر فكري عملي) إذا هي شيء لا يكون موجودا يصبح موجود بالاكتساب. ويبدأ عن طريق الحواس أي من المحسوسات ويترقى إلى الفكر وعليه يعبر ابن خلدون إلى طبيعة الملكات وخصائصها[10].

- ❖ الملكات تحصل بتتابع الفعل وتكراره.
- ❖ الملكة تتحول الى صناعة في أمر يشترك به الفكر إلى جانب العمل.
- ❖ لا تكتمل الملكة كونها عملية وفكرية في آن واحد إلاّ بالمباشرة والممارسة كونها أوعب لها وأكمل.
- ❖ كلما كان الأصل في اكتساب الملكة راسخا ومتقنا كان اكتساب الملكة أكثر رسوخا وإتقانا.
- ❖ يوجد علاقة وثيقة (طردية)، بين اكتساب الملكة والحذق بها لدى المتعلم، وبين طرق تعلمها أي ملكة المعلم (سند التعليم) الذي يقوم على تعليمها.

[9] المقدمة، ص137.

[10] المقدمة، ص119.

إنّ إدراك ابن خلدون لطبيعة الملكات والكشف عن خصائصها قادته إلى وضع منهجية لتربية الملكات وتعلمها، وهذه المنهجية هي إحدى الثمرات التي قدمها علم النفس التربوي إلى التربية الحديثة في مجال التعلم ونظرياته.[11]

–في مجال التربية واكتساب المهارات يدعو علماء التربية الحديثة إلى تكرار ذات الحركات في الممارسة الحركية باعتبارها نمط سلوكي مكرر في مناسبات مختلفة ويدعو إلى أن تكون هذه الممارسة والتكرار تحت إشراف وتوجيه مشرف أو مدرّس ماهر وقادر وعارف بمستلزمات بتلك المهارة ومقتضياتها، لأنّه لا يمكن الاعتماد على حفظ الأفكار والحركات لاكتساب المهارة لأنها لا تكسب إلا عن طريق العمل والممارسة المترافق مع التقدم المستمر إذا كانت الدقة في السلوك وفي الممارسة هي المطلب أولا ويليها السرعة في الأداء والمهارة، فإن التكرار المنفتح يعدل ذلك السلوك ويؤدي به إلى الكمال لقد أعطت التربية الحديثة القيمة العظمى لأهمية المعلم ودوره في اكتساب المهارة وتربية الملكة، لذا يجب أن يكون واعيا بجمع المهارات والملكات التي يريد غرسها في نفوس طلابه أي عازما للغرض الذي يسعى إليه.

وكما ذكرنا سابقا عن العلاقة الطردية بين اكتساب الملكة والحذق بها لدى المتعلم وبين جودة التعليم وملكة المعلم (سند المعلم).

وهكذا يكون ابن خلدون في إطار نظريته التربوية، قد التفت إلى متطلبات العملية التعليمية منذ المراحل الأولى للمتعلم، واضعا للمعلم والمتعلم على السواء الأسس العلمية والموضوعية لاكتساب الملكة التي سوف تغدو فيها بعد الصناعة التي تجعل منه الفرد المحقق لذاته الصالح لمجتمع، قادر على كسب عينة بضاعته (إن صناعة المرء هي قيمته، أي قيمة عمله الذي هو معاشه) مذكرا بقول الإمام علي عليه السلام " قيمة كل امرئ ما يحسنه".

[11] أحمد زكي صالح، علم النفس التربوي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1965 ص149.

**ب–اكتساب الصناعة** : لم يشر ابن خلدون على المتعلم إلى طريقة مباشرة بتعلم صنعة أو تلك الأخرى ومن غير المعروف أن يصدر شيء كهذا عن عالم فذ كابن خلدون بما يتنافى مع تكامل المجتمع وتطوره وتغيره من ناحيته ومع معرفته بطبيعة الكائن البشري وما فطر عليه إذا اكتفى بالإشارة إلى أمهات الصناعات وأنواعها وطبيعتها، لأنه كان يدرك تماما أن المجتمع ذاته يفرض بدوره أحيانا أنواعا من الصناعات، كما يتطلب إيجادها ناهيك عما تلجأ إليه الدولة، أحيانا لتشجيع صناعة ما. وللدور البالغ الذي تلعبه الصناعة في بناء حضارة المجتمع وقدرة أصحابها على توجيه الحضارة والعمران في المسار الذي يدفع المجتمع إما للانحلال أو الصلاح والأفراد إما للفساد والتحول عن إنسانيتهم أو صلاحهم واستقامتهم، فالمربي السليم والتنشئة الصائبة عند تعليم الصناعة منذ البداية بالإضافة إلى إتقانها حتى تكتسب ملكتها، تلك الصناعة التي ستكون المورد المشروع لرزق الفرد، كفيلة بأن تجعل المرء قادرا على جلب منافعه ودفع مضاره واستقامة خلقه في السعي لذلك، وتحفظ عليه أخلاقه ودينه، فيغدو قادرا على المساهمة في بناء حاضر الأمة ومشاركا في قيام المجتمع بشكل إيجابي وليس العكس كما هو الحال عندما تؤذن الحضارة بالفساد.

**ج – البناء الفكري السليم** : يقدم ابن خلدون للمتعلم المقدمة التالية التي سوف تعينه على فهم "الفكر الإنساني"...(وذلك أن للفكر الإنساني طبيعة مخصوصة، فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته وجدان وحركة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ، تارة يكون مبدءا للأفعال الإنسانية على نظام ترتيب، وتارة يكون مبدءا لعلم ما لم يكن حاصلا بأن يتوجه إلى المطلوب، وقد يصور طرفيه ويرم نفيه أو إثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما أسرع من لمح البصر إذا كان واحدا وينتقل إلى تحصيل وسط آخر إن كان متعددا ويصير إلى الظفر بمطلوبه).[12]

[12] المقدمة، ص181

إذا هذه هي الطبيعة الفكرية التي تميز الإنسان عن سائر الكائنات، والمنطق في نظره ليس إلا صناعة فكرية، للكشف عن كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية، وكونه أمرا صناعيا يمكن الاستغناء عنه في أكثر الأحيان، وإذا رجعت إلى كيفية تكوين العقل التجريبي التي عرضها ابن خلدون نجده لم يختلف عن آراء الفلاسفة المحدثين من علماء التربية إذ أن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء، وإن الحواس هي منافذه على العالم الخارجي بها يتصل به ويتعرف عليه، وتتجلى وظيفة الفكر في خاصيته في ترتيب هذه الأفعال وتنظيمها وفق نظام، والكشف عن المفاسد والمصالح والحسن والقبيح وذلك بما ينشأ عن الفعل الناجح عن تجربة صحيحة **(فيفارقون الهمل من الحيوانات وتظهر عليهم نتيجة الفكر في انتظام الأفعال وبعدها عن المفاسد)**.

كيف يحصل هذا في نظر ابن خلدون ؟

إنها لا تبعد الحسن، ولا تحتاج إلى أبعد تفكير، بل كلها تدرك بالتجربة وبالرغم من أن الحواس والتجربة لا تقدم سوى الجزئيات، هنا يقوم الفكر الإنساني بوظيفته الطبيعية التي ذكرنا، فيربط هذه الأجزاء ويوجد العلاقة بين طرفين أحيانا أو عدة أطراف أحيانا أخرى وهذه التجربة نامية ومتصاعدة كل حسب خبراته وثروته التجريبية. (يستفيد طالبها حصول العلم بها، ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذي يشر له منها مقتصا له بالتجربة بين الواقع في معاملة أبناء جنسه، حتى يتعين له ما يجب وينبغي فعلا وتركا)، ويقول (إن المعاني لا تبعد الحس كل البعد، بل كلها تدرك بالتجربة وبها يستفاد).

وإذا كان عمر الفرد لا يتسع لكل هذه التجارب وهذا ما انتبه إليه علامتنا، فإن ما أتاحه الله للبشر من (الآباء والمشيخة الأكابر ولقن عنهم ووعى تعليمهم يستغني عن طول المعاناة في تتبع الوقائع واقتناص هذا المعنى من بينها) ويذكرنا المقام هنا بمقولة عباس محمود العقاد " لا أحب الكتب لأنني زاهد في الدنيا، ولكنني أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفيني ".

**إذا هناك مصدران في البناء الفكري :**

- **المصدر الأوّل :** التجربة المباشرة واستخلاص الحكم والمعرفة عن طريق التجربة، وهذا ما ألح عليه ابن خلدون في بناء المعارف السليمة خاصة في اكتساب الصناعات المركبة التي تشتمل على الجانبين النظري والعملي إذ لا بد لها من المباشرة بالحواس والممارسة الفعلية والمتكررة لتكسب ملكة وعقلا.
- **المصدر الثاني :** الآخرون، المعلمون (أنبياء، مشايخ، علماء...) عن طريق التقليد حيث أعطاه ابن خلدون الأهمية القصوى لما يوفره على المتعلم من زمن ووقت وجهد (ومن فقد المعلم في ذلك والتقليد فيه أو أعرض عن حسن استماعه وإتباعه، طال عناؤه في التأديب بذلك، فيجري في غير مألوف، ويدركها على غير نسبة فتوجد آدابه ومعاملاته سيئة الأوضاع بادية الخلل، ويفسد حاله في معاشه بين أبناء جنسه).[13]

وإذا كان الفكر لا ينتقل إلى مرحلة العقل التمييزي إلاّ بعد مروره بمرحلة العقل التجريبي الذي يكون سابقا عليه ومتقدما عنه فإن التجربة التي تبدأ بالملاحظة وتمر في مرحلة وضع الفروض ثم التحقق من صحة أحد الفروض ثم الانتقال إلى التعميم، هذا هو التفكير العلمي كما افترضه دعاة التفكير العلمي الذي يقوم على المشاهدة والملاحظة لينتقل إلى التجربة والحكم والتطبيق.

حين يقول ابن خلدون ( **اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس، والأحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة)** تجده يطلب من المتعلمين والمعلمين على السواء أن يمارسوا ويباشروا ويجربوا مستعينين بحواسهم قبل أفكارهم ليكسبوا ملكة المعرفة، التي أرادها لهم وبهذا قد سبق ابن خلدون بنظريته حول طريقة بناء الفكر السليم والصحيح، كبار علماء التربية المحدثين أمثال **جون ديوي، ستيوارت ميل** الذين نادوا

[13] المقدمة، ص162

بالرجوع إلى الحواس وإلى معالجة المواد مباشرة دون وساطة من أجل التعلم منها وبها لتتحول الإحساسات إلى أفكار، كما قال المربي جان جاك روسو " لا تقدموا للطفل أبدا خطبا لا يستطيع سماعها، ودعوا الوصف والبلاغة والمجاز واكتفوا أن تعرضوا عليه الأشياء في حينها، لتتحول إحساساته إلى أفكار " أو كما قال المربي بستالوزي "إن هذا الطفل لا يريد أن يكون بينه وبين الطبيعة شيء، فهي دعوة إلى العودة للتعلم بالأشياء ذاتها عن طريق المباشرة والحواس وقبل كل هذا نجد مصداق قوله تعالى "بسم الله الرحمن الرحيم"

"وَاللَه أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون" صدق الله العظيم .النحل 78

لقد سبق ابن خلدون في عصره أهل زمانه في مجال علمي التاريخ والاجتماع ووضع لمن جاء بعده أسس هذه العلمين وأصبح مرجعا ومصدرا لهما ها نحن هنا كشفنا عنه أيضا كسابق عصره في مجال آخر وهو مجال التربية والتعليم.